موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية

د. جورج حبيب بباوي

مَعَ المسيحِ

من العلية إلى الجلجثة ومجد القيامة

www.coptology.com

مع المسيح

من العلية إلى الجلجثة ومجد القيامة

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٥

www.coptology.org

جدول المحتويات

ابتهالاتُ قلبٍ ٤
غسلُ الأرجلِ ١٠
ليلة الصلاة في بستان جثيماني ١٢
عَبَرَ يسوعُ وادي قدرون (يوحنا ١٨: ١):.............................. ١٢
البستان: ١٢
ذهب وحده ليصلي وأخذ معه ثلاثة:.................................... ١٣
ابتدأ يحزن ويكتئب: ١٣
في أيام جسده قدَّم بصراخٍ شديد ودموع (عب ٥: ٧): ١٣
القادر أن يخلِّصه من الموت وسُمع له من أجل قداسته() (عب ٥: ٧):.......... ١٧
من المحكمة إلى يوم جمعة الصلبوت ١٨
لك القوة.. ٢٢
لكَ المجدُ ٢٢
لكَ البركةُ.. ٢٣
والعزَّةُ ٢٣
أركان التدبير السبعة في كلمات الرب على الصليب ٢٦
إلهي إلهي لماذا تركتني (مرقس ١٥: ٣٣): ٢٦

يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون (لوقا ٢٣: ٣٤):.................. ٢٨
اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك (لوقا ٢٣: ٤٢): ٢٩
أحباء يسوع هم معه رغم الألم.. ٣٠
رأى يسوعُ أُمَّه والتلميذَ الذي كان يحبُّه واقفاً (يوحنا ١٩: ٢٥):............... ٣٠
قال لأُمه يا امرأة هوذا ابنك (يوحنا ١٩: ٢٦): ٣٠
قال للتلميذ هوذا أُمَّكَ (يوحنا ١٩: ٢٦):.. ٣١
يا أبتاه في يديك أستودع روحي (لوقا ٢٣: ٤٦): ٣٢
مات بإرادته وحده وسلطانه: ٣٣
سلطان الرب ليس فقط لأنه إلهٌ متجسد، بل لأنه ربُّ الحياة:.................. ٣٤
أنا عطشان — قد أُكمل: ٣٥
"أكمل التدبير بالجسد" حسب صلواتنا الأرثوذكسية ٣٦
المسيحُ حيٌّ معنا وفينا.. ٣٨
المسيحُ حيٌّ معنا ٣٨
قيامة المسيح جعلته رأسَ الجسد، أي الكنيسة: ٣٨
الاتحاد بالرب يسوع هو اتحادٌ إلهيٌّ سِرِّيٌّ: ٤٠
المسيحُ حيٌّ فينا: ٤٣

ابتهالاتُ قلبٍ

-١-

أشرقَ نورُ محبتِكَ الأزلية في زماننا العتيق لما جلستَ مع تلاميذك وسلَّمتهم حياتك.

ورَسَمتَ يا سيدي التسليمَ بنفسِكَ، فلا سلطانَ لأحدٍ على جسدِكَ ودمِكَ سواكَ.

لقد نظرتَ إلينا قبل خلق الكونِ، وعرفتَ الضعفَ الذي فينا.

من العدم جئنا، فإذا لم تحفظنا نعمتك عُدنا إلى العدم.

رسمتَ لنا العطاء الأقنومي لمحبتكَ المتجسدة، بالخبز والخمر، فلم تعد لعنةُ الأرضِ تمنع عنَّا نعمتك.

من التراب الذي منه خُلِقنا، وهبتَ لنا أن تنمو الحنطةُ وتصير خبزاً.

بالعرق والتعب نأكل الخبزَ.

ووضعتَ عَرَقَ محبتِكَ، وتعبَ انتظارك في عشاءك الفائق، لما أمسكت بالخبز، وبالكلمة التي أقامت الموتى قلت: "هذا هو جسدي".

جسدُكَ الذي وهبَكَ إياه الروحُ القدس من العروس مريم.

تُقدِّمه بصوتِكَ المحيي خبزاً للحياة، وقوتاً للخلود.

لم تعد الخِلقة الأولى التي تمَّت في ستةِ أيامٍ، دائرةٌ مغلقةٌ، بل صارت تُقدِّم للخلقة الجديدة عطيةَ الوجود لِترقىَ إلى الحياة الغير الفانية، ولكي يصبح طعامَ الحياةِ بديلاً لطعام الموت.

أكلنا جميعاً من شجرة معرفة الخير والشر، ولكننا لم نأكل من شجرة المحبة؛ ولذلك غرستَ ذاتَكَ شجرةَ محبةٍ تعطي جسدكَ ودمكَ لحياةٍ لا تموت.

عندما سبَقَت المعرفةُ الثنائيةُ كلَّ شيءٍ؛ تعذَّر علينا أن نحبَ حتى أنفسنا.

وهكذا جئتَ يا سيدنا بالعطاء الذي يسود بالمحبة؛ لكي تنمو محبتُكَ فينا، شجرةُ محبةٍ وحياةٍ تسبقُ المعرفةَ، فننال من المحبة معرفةً نقيةً من الاحتياجات والشهوات.

-٢-

أنت جالسٌ عند المائدةِ السماوية.

في شوقٍ توِّزعُ حياتَكَ التي لا تموت؛ لأنها هي المحبة غالبة الموت.

لم تنقسم بالعطاء، بل بالعطاء أنت توحِّدُ المنقسمين.

ولم يكن لك -في التدبير- سوى جسدٌ واحدٌ، من الروح القدس والبتول، أخذته.

وحَّدته بلاهوتكَ، فصار هيكلَ المحبةِ عندما اتحد به "ملءُ الألوهةِ". ومن الاتحاد سَرَت حياتُكَ الواحدةُ التي جاءت لتشفي الانقسام.

أنت لا تنقسم. أينما كنت، فأنت الإله المتجسد، في المزود، وفي الأردن، وفي البرية، وفي العلية، والجلجثة والقبر.

يتحركُ جسدُكَ بالإرادة التي لا تعرف إلَّا العطاءَ والرحمة. إرادةٌ واحدةٌ لإرادتين.

خضعَ اللاهوت لاحتياجات الجسد لكي يحوِّل الجسد من الضعف والفساد إلى القوة، ومن الخوف إلى جُرأةِ البذلِ.

وخضعَ الجسدُ إلى اللاهوت، فصار جسداً محيِّياً؛ لأنه جسد الكلمة المحيي واهب الحياة.

-٣-

أنظرُ إليكَ يا عريسَ البيعةِ، وأنت ممسكٌ بالخبزِ، صانعاً ترتيبَ العطاء لكل الدهور: "هذا هو جسدي".

والذين عاينوك في العلية، شاهدوك وأنت تقدِّم. والذين سمعوك تقول: "هذا هو جسدي"، لم يدخلوا في سجالٍ وحوار، بل كانت إطلالات الفصح تمر أمام عيونهم، فأدركوا أن "الحَمَل" الجديد لفصحٍ جديد أبدي، والذي يعبر بنا من الموت إلى القيامة، هو ذلك الجالس معهم.

-٤-

لا ثنائيةَ في العطاءِ، ولا مسافةَ تفصل من يملأ السموات والأرض عن الأحباء.

المحبةُ لا تعرف أيَّ بُعدٍ من أبعاد الزمان. ليس فيها ماضٍ؛ لأنها لا تبدأ من المعرفة، بل من اللقاء. وليس فيها حاضر؛ لأنها لا تعرف للعطاء قيداً. ولا تنظر إلى المستقبل؛ لأنها هي المستقبل.

-٥-

هكذا باليدين، وهما حركةُ الإرادة الإلهية عندكَ، قدَّمتَ ذاتكَ ....

نحن ننسى أنكَ خالقُ الحنطَةِ والماء والعنب والأرض وكل الفصول من شتاءٍ إلى ربيع ... ننسى ذلك عندما نسأل: كيف قدَّمتَ ذاتك في العلية؟ وكيف قدَّمت ذاتَكَ على الجلجثة، ولماذا قمت؟ ألم تكن القيامةُ تقدمةَ الغلبةِ؟

أكلنا من شجرة المعرفة، فنظرنا يسوع والخبز. ولكن عندما نأكل من شجرة المحبة، نرى أن يسوع هو الخبز.

الازدواجيةُ نابعةٌ من تسلط الحواس على الفكر. أما الوحدانيةُ، فترفعُ الحواسَ إلى مدارجِ الفكرِ، فيرى ما تعجزُ الحواسُ عن إدراكه.

-٦-

يا يسوع. أنا جالسٌ معكَ في العليةِ، حيث تقدِّمُ في كلِّ يومٍ، حياتَكَ.

المحبةُ لا تكفُّ عن العطاء، إذاكنت تموت، وأنت في شوقٍ أزلي استُعلِن في زماننا المحاط بالموت تعطي ذاتك.

بالكلمة تدخل الفكر.

بالجسد والدم توحِّد كياننا بكيانك.

الفكرُ يظلُّ دائرةً مغلقةً حتى إن كان محور اهتمامه هو أنت وحدك. لكن في

عطاء الجسد والدم، أنت كُلُّكَ الألوهة المتجسدة تعطي كيانك، عندئذٍ يكفُّ الفكرُ وتختفي الكلمات.

آهاتُ الشوق الإلهي، شوقُكَ أنت إلينا، وآهاتُ شوقِ القلب الذي يرى العطاء قبل الفكرة، ويشرب من المحبة قبل أن يشرب من ينابيع الفكر، يمُدُّ الكيانُ يده إليك لكي يأكل ثمرة الأرض التي نالت نفحة وهبة حياة، فنالت بداية القيامة قبل يوم مجدك الإلهي.

أكل آدم وحواء وانفتحت أعينهما وعرفا العُريَ.

لكن لما جلستَ بعد قيامة الحياة مع تلميذي عمواس وقدَّمتَ عطاء المحبة، انفتحت أعينهما وعرفاك. لم يعرفا العُريَ، بل تعريا من عدم الإيمان.

أصبح الأكلُ هبةَ حياةٍ للمائتين، يأكلون لحياةٍ لا تموت.

لما جئتَ أيها المخلص، أقمت الحياةَ، وصرت الحياةَ بعد غلبة الانفصال بالاتحاد الأقنومي وغلبة الموت على الصليب وقيامة للخلود بقيامتك.

لما جلستَ في العلية، ورسمت سر التدبير السابق للذبح علانيةً على الجلجثة، أعلنت قبل العلية أنك أنت "الخبز الحي النازل من السماء" من عند الآب. ولما حلَّ الفصح القديم، قدَّمتَ ذلك الخبز "بإرادتك وحدك وسلطانك"، فصرت أيها المخلص عريسَ البيعةِ في ليلة زواجك السِّرِّي ومخدع اتحاد الإلهي مع عروسٍ مشتتةٍ مذعورة تضم الخائنَ والخائفَ، وتغسل عروسَكَ قبل الاتحاد بها، لعلها تعرفُ من غسل الأرجلِ، أن المحبةَ ينبوعُ الخدمة الحقيقية.

كنت تعرف العروسَ قبل أن توجد.

يا خالق الكلِّ وفاحص القلوب، وضعتَ محبتَكَ قبل معرفتك لكي تخلِّص

الكلَّ.

وحتى بعد أن سلَّمتَ جسدَكَ، لا تزال أدناسُ العروس كما هي. أنت وحدك تعرف كم يهوذا بيننا يأكل معك. يدخله الشيطان؛ لأنه أكل بنفاق، فتحولت العطية إلى حكم، ولما سقط تحت الحكم كان العدو في انتظاره.

غسلُ الأرجلِ

-١-

نسمِّيه اللقان، وهو أحدُ الأسرار. عاشقوا الرقم ٧ حذفوا، إلى جوار سر غسل الأرجل، حذفوا السر الأول، سرَّ الثالوث نفسه.

عندما نتجادل حول عطاءٍ، يتحول العطاءُ من ينبوع حياةٍ إلى أفكارٍ في عقولنا ندركها حسبما نشاء.

مَن نَظَرَ إلى الماء وظنَّ أنه سرابٌ؛ لن يشرب. ومن رأى السرابَ وظنَّ أنه ماءٌ يموت من العطش. نحن يا سيد الحياةِ أسرى مفاهيم وتحديدات ورؤى، من ينابيع الخوف والشك والموت وقساوة القلب تصدرُ.

في شوارع فلسطين، الأرض الحجريةُ يعلوها التراب. والأقدام العارية تمتلئ من تراب الأرض وطينها.

مع الطين كان لك لقاءٌ، عندما أخذته لتكمل به خلقة الناقص في المولود الأعمى. لكنك في العلية صرتَ مثل العبد، تخدم وتربط وسطك بمنشفةٍ، تغسل طين أقدام أحبائك. هذا مثالٌ للخدمة حقاً، ولكنه جاء من نبع داخلي، من يد الخالق الذي خلق آدم من تراب وطين. وها هو هنا يمسح ذات الطين العالق بين أصابع أقدام التلاميذ، حتى يهوذا.

إفرام السرياني يرى في انحنائك أثناء غسل أرجل التلاميذ، انحناءُ الخالقِ المتجسد

أمام الخليقة.

لا يجب أن نخاف من ذلك؛ لأن المحبة لم تصل فقط إلى حدِّ غسل الأرجل، وإنما وصلت حتى إلى الجحيم نفسه؛ لأن الرب "نزل إلى الجحيم من قبل الصليب".

لذلك، في العلية، تجلَّى ذلك السر العجب، سر تنازل المحبة الإلهية.

-٢-

اِغسل نفسي الجريحة، التي جرحها العالم والأصدقاء والأعداء. نحن نأتي إلى عالمٍ يموج بالكراهيةِ ولا يعرف إلاَّ القسوة والانتقام.

شاهدتُ شهداء المنيا راكعين مثل حملانٍ. وشاهدتُ عملية الذبح نفسها على شبكة المعلومات قبل حذف هذا الفيديو ... لقد غسل هؤلاء الأبطال الكنيسةَ، بل غسلوا مصر كلها من الخوف والتردد. عادت إلينا حيوية الشهادة.

غَسَلَ دمُ هؤلاء الأرواحَ التي أصابها التردد، فاشعِل يا ابن الله نارَ محبتكَ الإلهية فينا، فننحني بمحبةٍ بلا خوف أمام الجزار والقاتل، فقد أصبح قتلَنا أفضل من الحياة مع وحوشٍ لها أشكال البشر.

ليلة الصلاة في بستان جثيماني

عَبَرَ يسوعُ وادي قدرون (يوحنا ١٨: ١):

عَبَرَ داود ذلك الوادي هارباً من أبشالوم (٢صم ١٥: ٢٣). وفي إشارةٍ ضمنيةٍ إلى حكم الموت الذي أصدره الملك سليمان على شمعي بن جيرا "في اليوم الذي تعبر فيه وادي قدرون يقيناً ستموت" (١ ملوك ٢: ٣٧). بل كان دمُ ذبائح الهيكل يُسكَب في هذا الوادي. تلك هي الخلفية التاريخية لمن يعبر لكي يموت، ويعبر الوادي حيث دم الذبائح التي لم يعد لها دور في التدبير.

عَبَرتَ أيها الفادي لأنكَ تعبرُ "وادي ظل الموت" لأجلنا.

البستان:

في البستان القديم سقط آدم، ولكن هنا في البستان ينتصر (كيرلس الكبير شرح يوحنا ١١: ١٢ – ٤٨: ٥٦٦). الاسم جثيماني وصلنا من المصادر اليونانية Γεθσημανή ولكنه عبراني الأصل Gat – Shamanim معصرة الزيت. كان في البستان العديد من أشجار الزيتون. أكد يوحنا الانجيلي أن المكان هو κήπος أي حديقة أو بستان.

لم تشأ أن يُقبضَ عليك في العلية. كان ذلك حرصاً منك على التلاميذ (شرح إنجيل متى أوريجينوس ٣٨: ٢-٢٠٤)، بل بحضورِكَ في البستان جعلتَهُ هو بدورِهِ مكاناً

مقدَّساً؛ لأنه مكتوب "المكان الذي تقف فيه هو أرضٌ مقدَّسةٌ" (خروج ٣: ٥).

ذهب وحده ليصلي وأخذ معه ثلاثة:

مع الخاصة، ولكن وحدكَ كنتَ تصلي. حديثٌ خاصٌّ مع الآب. سمعنا عباراتٍ قصيرةٍ. الصلاةُ يا مخلِّصي أعلَنَت لنا العلاقةَ الأقنوميةَ الخاصةَ مع الآب. كشفت قدرتك الإلهية.

أكَّدَت لنا تجسُّدَكَ. حقاً صرتَ إنساناً مجرَّباً مثلنا في كلِّ شيءٍ، ولكنك لم تقذف بالتجربة إلى وهم الحياةِ بدون الآب، أو إلى زيفِ الوجود الذاتي الذي ضَرَبَنا بالموت، وأبعدَنا عن ينبوع الحياة.

ابتدأ يحزن ويكتئب:

يحزن ويكتئب على اليهود الذين رفضوه، وعلى خيانة يهوذا، وعلى جحد بطرس (متى ٢٦: ٣٤). حذَّرتَ بطرسَ من السقوط، ولكنك كنت تصلي قبل أن ترتفع موجة الجحود بالقبض عليك، وصلبك؛ لكي تغرس فينا الصلاةَ الدائمة (هيلاري: شرح متى ٣١: ٤).

في أيام جسده قدَّم بصراخٍ شديد ودموعٍ (عب ٥: ٧):

لو كان في أيام جسدك يا يسوع ما يستدعي الصراخ الشديد، والدموع، فإن بستان الصلاة هو ذلك المكان الذي وصفه جيروم بأنه كان قريباً من الوادي الخصيب (قدرون)؛ لأن جدَّكَ داود وهو يرتِّبُ مزاميرَ الخدمةِ: "الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج"، يذهبُ إلى الحقل ليلقي البذار وهو يبكي، وعند الحصاد يجيء بالترنم حاملاً معه حِزَمِهِ" (مزمور ١٠٦: ٦ مدراش آرامي).

بكيتَ يا يسوع عند قبر لعازر، وأيضاً عندما نظرتَ إلى مدينة الملك رب السموات، بكيتَ عليها (مرقس ١٩: ٤١). كنت ترى ما سيحدثُ لها لأنها –حسب كلمتك الحق– لم تعرف "زمان افتقادها" (مرقس ١٩: ٤٤). يجيء زمانُ الافتقادِ وردُّ النعمة التي نرفضها، في كلِّ يومٍ، ولكننا لا نميِّزُ ذلك الزمان. لقد جاء زمان الافتقاد طوال ٥٠ عاماً مضت .. تُرى هل أدركناه؟

يسوعُ يا نور العالم، الظلمةُ غريبةٌ عليكَ وعلى نفسِكَ الإنسانية التي لا تعرف الموتَ، ولكنك تعرف ماذا سيأتي عليك؛ لذلك تقول لنا: "نفسي حزينةٌ جداً حتى الموت" (متى ٢٦: ٣٨). يكادُ الحزنُ يقتلك.

ها أنت سوف تسير في وادي ظلال الموت (مزمور ٢٣: ٤)، وأنت تقول لتلاميذك: "لا تخافوا". وَجِدُّكَ داودُ يقول: "لا أخاف شراً" (مزمور ٢٣: ٤)، فلم يكن الموتُ الجسداني هو ما يُرعِبُ. الموت الجسداني يُرعبُنا نحن؛ لأننا لا نعرفُ حياةً غير تلك الحياة الجسدانية. الجسدُ هو كلُّ ما نملك. لكن جسدَكَ هبةُ الروح القدس لك، هو ما سوف تقدِّم.

لم يكن "وادي ظلال الموت"، بل الموتُ نفسه الذي لا أصلَ له في جسدك ولا في روحك الإنسانية، فقد قدَّمتَ الجسد والدم (الحياة) في العلية بتقديمٍ حُرٍّ إراديٍّ لا زلنا نردده في صلواتنا: "بإرادتك وحدك وسلطانك"، لكن رُعبَ الموت الأبدي، رُعبَ الاغتراب عن محبة الآب، ذلك هو الكأسُ الذي يجب أن تشرَبَه.

ولكن يجب أن "يعبر"، والعبور هو الاسمُ العبراني القديم للفصح؛ لأنك سوف "تعبُرُ" الموتَ وتصلِّي لكي تكشف لنا ما هو حادثٌ.

الموتُ يا سيد الحياةِ غريبٌ حتى على الطبيعة الإنسانية التي أخذتها؛ لأنك عندما تقول: "أنا الحياة"، و"أنا القيامة"، فأنت لست كيانين –كما تصوَّر نسطور– كلاهما خاضعٌ لطبيعةٍ، بل أنت الأقنوم الواحد المتجسِّد من طبيعتين. "أنا" عائدةٌ إليك

أنت كُلُّكَ. كيف تموت وأنت الحياة؟ كيف تدخل الظلمة وأنت النور؟

الخطيةُ لم تكن القوةَ التي جعلتكَ تختار طريقَ الموت، بل محبتك للبشر. لو كانت الخطيةُ هي سببُ تقديم ذاتِكَ، فأين المحبة؟ وكيف تقدِّم الخطيةُ تقدُمةَ محبةٍ؟ حتى تحت الشريعة، كان الخاطئُ بإرادته يقدِّم؛ لأن انعدام الإرادةِ يلغي التقدمة. حيث لا أرادة حُرة، تختفي المحبة.

نحن لا نعرف الموت الأبدي؛ لأن الحكم: "موتاً تموت" هو البقاء في الفساد والموت إلى الأبد (أثناسيوس تجسد الكلمة ٣: ٤).

طرحتَ الفسادَ وهزمته عندما أقمت لعازر.

هزمتَ الموتَ في موتي، مثل ابن الأرملة،

لكن ذلك الموت كان موتاً جسدانياً. كان انفصالُ الروح عن الجسد، وأنت يا سيد الحياة جئت بلعازر من هاوية الموت ذاتها إلى الحياة.

نحن لا نعرف الموت الأبدي؛ لأن رحمة الآب حفظت نعمة البقاء، ولم تسمح بأن نعود إلى العدم؛ لأن هلاك الخليقة يُظهِر إهمال الآب وضعفه (تجسد الكلمة ٦: ٨). فقد قال معلمنا العظيم أثناسيوس إن الآب "رَحِمَ جنسَنا وأشفق على ضعفنا وتراءف على فسادنا لأنه لم يحتمل أن يرى الموت قد صارت له السيادة علينا؛ لئلا تفنى الخليقة ويتلاشى عمل الله" (تجسد الكلمة ٨: ٢).

يا كلمةُ الآب الابنُ الخالقُ، لقد رأيتَ في البستان كلَّ شيءٍ، وجاءت قوة الموت وعرفتَ أنها معلَّقةٌ بقبولك لهذه القوة التي تهدم. كان التدبير معلَّقاً برضاك بالموت؛ لأن رفضكَ يعني الموت الأبدي لنا وليس فقط الموت الجسداني. لقد مُنِعَ الموتُ الأبدي؛ لأنك –تدبيرياً– ستأتي، ولكن متى جئت ورفضت التدبير أو تراجعت؛ سقطت الخليقةُ كلها في العدم، لذلك سقطت "قطراتُ العرق مثل قطراتِ الدم"، ولذلك ظَهَرَ لك

ملاكٌ من السماء[١] (لوقا ٢٢: ٤٣)، فقد انزعجت القوات العلوية.

كنا نعيشُ مثل الله (تجسد الكلمة ٤: ٦)؛ لو أننا أبقينا معرفةَ الله في حياتنا. ولكننا سِرنا نحو العدم: "كان الجنس البشري سيهلك بالتمام لو لم يكن رب الكل ومخلص الجميع ابن الله قد جاء ليضع حداً للموت" (تجسد الكلمة ٩: ٤).

لقد رأيتَ العدمَ، وأنت الحياة، وأنت تعرف أن العدمَ لا يستطيع أن يقترب من جسدك ولا من نفسك الإنسانية؛ لأن الخطية لم تعرف لها طريقاً لا في قلبك ولا في فكرك.

صراعٌ نزفتَ فيه العرق؛ لأن هذا الصراع كان في داخلك:

+ اللاهوت، الحياة التي لا تموت.

+ الانسانية القابلة للموت، والتي يمكن أن تموت، ولكنها الآن تموت بحريةٍ، واختياراً حسب قولك الإلهي: "لي سلطان أن اضعها وسلطان أن آخذها"، وأيضاً لا يوجد من يأخذها، أي حياتي مني (يوحنا ١٠: ١٨).

+ غيرُ قابلٍ للموت حسب أُلوهيتك.

+ وقابلٌ للموت حسب إنسانيتك.

تمزُّقٌ تقبَلُه عبَّرَت عنه صلاةٌ سريانية: "انفصلت نفسه عن جسده"، ولكن أكَّدت ذات الصلاة: "ولكن لاهوته لم ينفصل قط لا عن جسده ولا عن نفسه". هكذا "فرَّق" الموتُ كيانك. وجاء ذلك بإرادتك، ولذلك نحن نسجد قائلين طوال البصخة:

---

(١) هو حسب التسليم الكنسي، ميخائيل المحارب عن الشعب قديماً والمبشر بالقيامة، وهو الملاك الذي تذكره الليتورجية بعد توزيع جسد الرب بقولها: "يا ملاك هذه الذبيحة ...."، بسبب اتحادنا بالمخلص نصبح في معسكر الملائكة وننال الحماية السماوية (مينا المتوحد).

"المسيح مخلصنا جاء وتألم عنا لكي بآلامه يخلصنا". وقد أضاف أبي الروحي هامساً: "يخلصنا من سكرات الموت، وعذاب تمزيق كياننا؛ لأننا نسلِّمُ النفسَ للرب، والجسدُ يرقد وديعةً عند روح الحياة الرب المحيي".

القادر أن يخلِّصه من الموت وسُمع له من أجل قداسته[١] (عب ٥: ٧):

الخلاصُ من الموت هو طلبٌ من الآب. وأنت آدم الثاني تجوز هذه المحنة الكبرى التي لا ندرك نحن إلَّا بعضَ ملامحها. سمعَ لكَ الآبُ من أجل قداستك، تلك التي أعلنتها في أطول صلاة سُجِّلَت لكَ في العهد الجديد كله: "من أجلهم أقدس ذاتي" (يوحنا ١٧: ١٩). طلبةٌ بالعرقِ، ليس لأن الآبَ قاسٍ، أو لأنه يحمل سيفَ العدل كما توهَّمَ الذين فصلوك عن الآب، بل لكي تسمع الإنسانيةُ صراخَ قلبك.

"بصراخٍ شديد، ودموع" (عب ٥: ٧) كنت يا سيدُ ترى الهاويةَ التي سوف تسبيها، وتدخل هذه المحنة المظلمة وأنت النور .. سوف تنفصلُ نفسُكَ الإنسانية عن جسدك، وبهذا الانفصال لم تعد إنساناً؛ لأن الإنسانَ هو روحٌ أو نفسٌ وجسد. هكذا ينهار وجودك الإنساني الذي تقبله بإرادةٍ حُرَّةٍ لكي تعيد تكوينه من جديد بلا موت وبلا فساد؛ لكي ننال الثبات فيك.

---

(١) كلمة "تقواه" الواردة ف ترجمة فانديك ليست دقيقة؛ إذ لا توجد تقوى في العهد الجديد. التقوى كلمة قرآنية، وتعني أصلاً مخافة الله، ولكن الكلمة حسب الأصل اليوناني تعني ما هو صحيح ومقدس وحق.

من المحكمة إلى يوم جمعة الصلبوت

-١-

أمامَ السلطةِ الدينيةِ تقف لتُحاكَم، ليس حسب الشريعة، بل حسب أهواء قيافا.

الحقُّ يحاكَم في مجمع الزور (متى ٢٦: ٦٠)، وشهودُ الزورِ لم يقدِّموا دليلَ جُرمٍ واحدٍ.

أنت قلتَ انقضوا هذا الهيكل.

شاهِد الزورِ قال: "لقد قال إني أقدر أن أنقضَ هيكلَ الله، وفي ثلاثة أيام أبنيه" (متى ٢٦: ٦١)، ولكنك لم تقل أنا أقدر، وإنما "انقضوا ذلك الهيكل" (يوحنا ٤: ١٩).

لم يكن في التوراة وصيةٌ ببناء هيكلٍ، بل كانت خيمةُ اجتماعٍ، ولكن داود لم يقبل أن يسكنَ في بيت، وأن يكون مكانُ حلول الربِّ هو خيمةً. وجاء شاهدٌ يقول إن "سليمان بنى للرب بيتاً. ولكن الله لا يسكن في هياكل مصنوعة بأيدي البشر، كما يقول النبي" (أع ٧: ٤٧-٤٨).

ورجموا اسطفانوس، الذي دخل إلى قدس أقداس السماء، وشاهدك واقفاً (أع

٧: ٥٥) لكي تستقبله كأولِ شهيدٍ للإنجيل.

-٢-

حكموا عليكَ بأنكَ مجدِّفٌ، وأنك تعدَّيتَ الشريعة. لهفي على تعليمٍ وضعَ موتَكَ المحيي تحت شريعة موسى، مرةً بأنك مثل ذبائح العهد القديم، ومرةً بأنك تُصالِح العدلَ مع الرحمةِ، وثالثةً بأنكَ تدفعُ الثمنَ!!! ... لكنكَ هنا أمام السُلطات الدينية التي لا تفهمك، والتي بعد انتشار الإنجيل، لا تزال لا تفهمك؛ لأنها وضعت الشريعةَ والقانونَ قبلَ المحبةِ الإلهيةِ. أنت -حسبَ رئيسِ الكهنةِ- "مُجدِّفٌ"، ولكن كلامَكَ حقٌّ. أنت ابن الله، وبسبب هذه التهمة التي تمس كيانَكَ، حُكِمَ عليكَ، وكلُّ مَن نال نعمة التبني لا زال أمام السلطات الدينية مجدِّفاً وهرطوقياً.

لقد كتبتَ الصليبَ، ليس في كتابٍ، بل في جسدِكَ منذ أن حُوكِمتَ، ولا زال الأبرياءُ يحاكَمون أمام سُلطاتٍ تدَّعي أنها أخذت مكان الله، وتحكم باسم الله.

-٣-

نحن نسخر من بطرس، ونتكلم كثيراً عن خوفه؛ لأنه "لَعَنَكَ بقَسَمٍ" (مرقس ١٤: ٧١)، ونظنُ أننا أبرياءٌ من الخوف، وأننا شجعان، ولكن كَمْ من بطرس عندنا يُنكر الحقَّ، يصمتُ ثم يلعَنُ بقَسَمٍ، وهو قَسَمٍ يهوديٍّ: "ليحذفَ اللهُ اسمي من سفر الحياة". يطلبُ الموتَ إن كان كاذباً، وهو بالقطع كان كاذباً.

الكذبةُ يملؤون كنائسنا، وهؤلاء بقَسَم الولاءِ لأشخاصٍ يجحدونَ نعمتَكَ، لكن محبتَكَ لبطرس جعلتكَ تناديه ثلاث مراتٍ: أَتُحبُّني؟ وبالمحبةِ أعدته إلى خدمته.

نختفي وراء الأعذار عندما يسود الخوف.

وتلك الجاريةُ التي أرعبت بطرس تقول: "أنت جليليٌّ ولغتُكَ تُظهِرك؛ لأنها ذات الآرامية التي يتكلم بها يسوع" (مرقس ١٤: ٧٠).

لغةُ الإنكار التي تطردك يا ربُّ من حياتنا الإنسانية. مرةً بإنكار أُلوهيتك، ومرةً ثانيةً بإنكار إنسانيتكَ، ومرةً ثالثةً بإنكار اتحادك بنا. لكن لغةَ هؤلاء الناكرين تُظهِرهم: محاولة طَردِكَ من دنيا الإنسان. لا يليق بكَ أن تتألم، العجرفة والقسوة والخُيلاء والقوة تتجمع معاً لتقول لنا: لا يليق، ولا يجب، وكأن حدودَ اللياقة والواجب، لا ترسمها ولا تحددها إلّا القوةُ وحدها!!!

كيف تكون ابنُ اللهِ وتجرَّب من إبليس؟ أَمَا كان يجبُ عليكَ أن تسحقه؟

ولكن هزيمةَ الشرِّ والشرير كل يومٍ هي أشدُّ وقعاً من هزيمةِ مرةٍ واحدة. غَلَبَتهُ علانيةً، ولا يمكن أن يُغلَبَ إلّا علانيةً. وجاءت هزائمُ كثيرةٌ مع أنطونيوس وأثناسيوس وباخوميوس، وجيش الشهداء والمعترفين والنُّسَّاك والناسكات.

يسخرونَ من صلاحِكَ؛ لأن عشقَ القوةِ جعلهم يرفضون مقاومةَ الصلاحِ والمحبةِ بالرفضِ الهادئ الذي لا يحتاج إلى قوةٍ. عندما تتكسَّرُ كلُّ التجاربِ بالرفض، فإن المجرِّبَ يصابُ بكلِّ خيبةٍ وفشل. لذلك لم يدخل معه الرب في حوار.

"إن كنت ابن الله" قيلت في البرية، وقيلت على الجلجثة، ولا تزال تقال في شوارعنا ومنازلنا، ونكاد نسمع السؤال كل يوم: هل تخلَّى وتركَ الأبرياء؟ القسوةُ والقوةُ ترى في هدوءِ المقاومة ضَعفاً، ولكن بعد أن تقتل المعارِضَ، ماذا تبقَّى للقوةِ؟ لا شيء سوى أن تدِّمر نفسها، ولذلك قيل بحقٍ إن حتى الثورة "تأكل أولادها".

عبادةُ القوةِ نُسقِطُها، ليس على الله وحده، بل على البشر، وعلى النصوص، وتتحول عبادةُ القوةِ عند الضعفاء إلى ميزان الحق الوحيد الذي يحدِّدُ ويفرزُ ما هو

صحيحٌ، ويصبح ما هو صحيح، التدمير والقتل والسحق!!!

كيف يتألم القوي، ذلك الذي يُمسكُ بكلِّ أطرافِ المسكونةِ، وهو القادرُ على كلِّ شيءٍ؟ ولكن، لماذا لا تكون المحبةُ قويةً إلى درجة قبول الضعف؟ مَن الذي يمكنه أن يقول: لا تستطيع المحبةُ أن تكون قويةً لكي تنزلَ إلى أدنى مستوى، وهو نزولُ قوةٍ لا يهابَ الموت.

-٤-

ورغم أن الربَّ أنذرَ بطرسَ، إلَّا أنه لم يوبِّخْه بعنفٍ. هذه هي قوةُ القادرِ أن يرى الضَعفَ، ويعطي رجاءً لمن سقط. فقد جَحَدَ بطرسُ -على الأقل- ثلاثَ سنواتٍ من العِشرةِ والتعليم والمعجزات. أكَّد في لحظةٍ تصوَّرَ فيها ما يتصوَّره عشاقُ القوةِ: كيف يفتح أعيُنَ العميان، ويقيم الموتى، ثم "يُقبَضُ عليه"؟

سمعتُ مَن لا يفهم التاريخ يعترض: هل سُلِّم المسيحُ بقبلةٍ؟ أم سُلِّمَ إلى الرومان؟ القانون الروماني يسألُ عن اسمِ المتهمِ قبلَ القبضَ عليه، وعلامةُ يهوذا، وهي القبلة في ظلام الليل، لا تكفي. كان سؤال يسوع: مَن تطلبون؟ وكان الرد: "أنا هو"، وسقطوا خوفاً، ولكن الخوفَ لا يغلبُ العَطَشَ للانتقام، ولا يقف أمام الكراهية. الخوفُ لا يمنعُ الشرَّ. قد يحِدُّ من انتشاره، ولكنه لا يقلعُ جذرَهُ. وتظل العداوةُ نائمةً مهما كانت أمواجُ الخوف.

-٥-

لك القوة

هكذا نسبِّحُ في البصخةِ؛ لأننا يجب أن نتطهَّرَ من كلِّ حبٍّ للقوةِ، وأن نطلبَ القوةَ الحقيقيةَ، وهي القوةَ التي تشارِك، والقوةَ التي تنزل إلى ذات حُفرةِ المتألمين، والقوةَ التي تقبل كلَّ الهوانِ من أجل هدفٍ عظيمٍ، وهي قوة الاحتمال. فقد احتمل الربُّ وصَبرَ على الأوجاع لكي يقابلَ الموت.

-٦-

لكَ المجدُ

المجدُ هو البهاءُ والعظمةُ واستعلانُ النورِ الذي لا يخبو. هو تعبيرٌ عن الحضور الإلهي. ليس مجداً ما تعطيه الملابسُ والألقابُ وحفاوةُ الناس، فقد كان يسير بجسدٍ دامٍ مزَّقته السياط. لكن، لك المجدَ أيها القادرُ على الوجع؛ لأنك -حقاً كما قال القائد الروماني، وقد سمع كلامَكَ- وأنت مصلوبٌ، تطلب الاهتمامَ بأُمِّكَ، وتطلبُ الغفرانَ، وتعطي مكاناً في الفردوس للصِّ الذي آمن بك، وتسلِّمُ روحَكَ للآب .. حقاً كان هذا ابن الله".

مجدُ أُلوهيتِكَ سطعَ عندما وهبتَ الغفرانَ للصالبين، فلا مكان للحقد أو الانتقام؛ لأنك جئتَ لكي تحرر الإنسانيةَ من هذه السلاسل القديمة. حقاً لك المجدُ؛ لأننا لم نرَ إنساناً سلك نفسَ سلوكِكَ، ولم يقل أيُّ نبيٍّ: "اليومَ تكون معي في الفردوس". لقد شعَّ شُعاعَ أُلوهيتِكَ بمجدٍ؛ لأنك أردت أن تجعلَ من الصليب قوةً، لا قوةَ موتٍ، بل قوةَ حياةٍ.

لقد غلبتَ بالمحبة وبالصفح، وقبلتَ اللصَّ، فصار صليبُكَ رُعباً للشياطين.

-٧-

لكَ البركةُ

أسمعُ هذه التسبحةَ، ويتجلَّى أمامي كيف صار صلبُكَ بركةً. أخذتَ لعنةَ الموتِ ورفعتها كعائقٍ، بل أبَدتَ الدينونةَ؛ لأننا لا نُدرِكُ أن موتَكَ هو "الموت المحيي". كيف تبادُ لعنةَ الموتِ إلَّا إذا -كما قال المعلِّم الكنسي أثناسيوس- استُهلِكَت في جسد الرب (تجسد الكلمة ٨: ٤).

من الصليبِ نَبَعَ نهرُ بركةٍ. فقد جاءت المصالحةُ بالشركةِ في حياة الثالوث؛ ولذلك نقبل مِسحةَ الروحِ بـ ٣٦ رشماً أو ختماً، هو ختمُ الصليب.

وعندما تُقدِّس أنت يا يسوعُ الخبزَ والخمرَ، نرشمُ علامةَ الصليبِ؛ لأنها علامةُ الحياة. وعندما نقول: "شَكَرَ"، نرشمُ علامةَ الصليب؛ لأن الصليبَ أعادنا إلى الحياة. وعندما نقول: "باركَ"، نرشم علامةَ الصليبِ؛ لأن العطاءَ يمتدُ إلى آخر الدهور. وعندما نقول: "قَسَّمَ"، نرشم علامة الصليب؛ لأنك توزِّعُ بيديكَ الحياةَ ميراثاً للمائتين.

-٨-

والعزَّةُ

يوصَفُ اللهَ بأنه "العزيز"، أو "عزيزُ إسرائيل" (في العهد القديم). والعزةُ ليست التعالي، بل الخصوصية التي لا يُشارِكُكَ فيها أحدٌ من الخلائقِ.

موتُكَ عِزةٌ خاصةٌ بكَ. عزةُ المحبةِ.

وخضوعُكَ للعذاب على يدِ البَشَرِ الذين لأجلهم جئتَ، هو "عِزةٌ"؛ لأن الذين تسعى لكي تحررهم، هم يسعونَ لقتلِكَ. ولكن، هذه هي عِزَّتَكَ يا شمس الحرية والمحبة التي لا يستطيع سحاب وظلمة الكراهية أن تحجبها.

+ لكَ القوةُ؛ لأن محبتَكَ دائمةٌ. رغمَ تحوُّلِ محبة البَشَرِ، تظل أنت دائماً محبُ البشرِ.

+ لكَ المجدُ؛ لأن كل ما لدينا من إنجازاتٍ، رغم أهميته، يجب أن يرقى إلى التضحية والبذل.

+ لكَ البركةُ؛ لأن ما نعمله معك ولأجلك، ينال الاستمرارية ويمتد لآخرين.

+ لكَ العِزَّةُ، فليس لدينا أعزُّ من اسمكَ، وما هو عزيزٌ عندنا، هو هبةُ الحياة نضعها تحت قدميك قربانَ محبةٍ، هو ثمرةُ محبتكَ التي تتأصل فينا بقوتك، لأنك أنت عمانوئيل إلهنا ومخلصنا.

-٩-

قوتي وتسبحتي هو الرب، وقد صار لي خلاصاً أبدياً.

لم يعُد الخلاصُ نظاماً ولا فكرة ولا كتاباً، بل الربُّ نفسه هو قوتي لكي أغلب بقوة محبته. وهو تسبحتي؛ لأنه قد صار هو الخلاص.

لا زلنا نسمعُ صدى تسبحة البصخة في أوشية الإنجيل، لحناً أبدياً:

"لأنك أنت هو حياتنا كلنا".

أركان التدبير السبعة في كلمات الرب على الصليب

إلهي إلهي لماذا تركتني (مرقس ١٥: ٣٣):

في العبرانية والآرامية الاستفهام بـ "لماذا"، ليس رفضاً ولا تمرداً، بل هو سؤالٌ يعبِّرُ عن الواقع بكل ما فيه من آلام ورجاء، مثل: "لماذا تآمرت الشعوب" (مزمور ٢: ١ – راجع أع ٤: ١٥). أو: "لماذا تبتعد يا الله وتختفي في زمان الشدة..." (مزمور ١٠: ١–٢٠)، وهي صرخةُ رجاءٍ تنتهي: "قم يا رب. يا الله ارفع يدك. لا تنسى المساكين" (مز ١٠: ١٢)؛ لأن الصرخةَ تعبِّرُ عن إيمانٍ هو سببُ السؤال: "لماذا؟" إذ يقول بعدها: "قد رأيت لأنك ترى المشقة ..." (مز ١٠: ١٢)، بل تطلب المجازاة: "حطِّم ذراع الفاجر ...".

السؤال: "لماذا"، نجد له ذلك الصدى العجيب: "الربُّ ملكٌ إلى الدهر والأبد .. تأوه الودعاء قد سمعت يا رب. تثبِّت قلوبهم، تُميل أُذنك" (مزمور ١٠: ١٦). وكان مزمور ١٣ يرتَّل في الهيكل: "إلى متى يا رب تنساني كل النسيان. إلى متى تحجب وجهك عني .. إلى متى يرتفع عدوُّي عليَّ". وبعد السؤال: "انظر واستجب لي يا رب إلهي"، بل لعل كلمات مزمور ١٨ وهو "نشيدٌ في اليوم الذي أنقذه فيه الرب من أيدي كل أعدائه ومن يد شاول" (هذا هو عنوان المزمور) يبدأ: "أُحبك يا رب يا قوتي. الرب صخرتي وحصني ومنقذي" (١٨: ١–٢). ولكن بعد ذلك تأتي المحنة. وفي كلماتٍ قويةٍ: "اكتنفتني حبالُ الموت. سيولُ الهلاك أفزعتني. حبالُ الهاوية حاقت بي. أشراكُ الموت نشبت فيَّ" (١٨: ٤ – ٥)، فهل توقَّف داود عند ضيق المحنة؟ أبداً بل: "في ضيقي

دعوت الرب وإلى إلهي صرخت. فسمع من هيكله صوتي وصراخي قدامه دخل أُذنيه" (مز ١٨: ٦). صرخةُ البراءةِ قويةٌ في مزمور ٢٦ بل تصل إلى كمالها في مزمور ٢٧ حيث يقول: "الربُّ نوري وخلاصي"، ولكن بعد ذلك وهو يطلب حضور الرب الذي تعبِّر عنه كلمة "وجه": "يا رب أطلب وجهك لا تحجب وجهك عني .." (٢٧: ٩). هذه هي خلفية الصلاة كما وردت في مزمور ٢٢ الذي يبدأ: "إلهي إلهي لماذا تركتني". والتَّركُ هنا لا يفيد الانفصال، ففي كل الصلوات السابقة مَن يسأل لا زال مع الله؛ لأن مزمور ٤٢ الذي يبدأ بشوقٍ جارفٍ إلى الله: "كما يشتاق الأيل إلى جداول المياه. هكذا تشتاق نفسي إليك يا الله. عطشت نفسي إلى الله الاله الحي" (٤٢: ٢)، بل هو على ثقةٍ من حضور الله: "متى أجيء وأتراءى قدام الله" (٤٢: ٢). لكن بعد ذلك، الله هو صلاة الحياة كلها والشوق الجارف "اقول لله صخرتي لماذا نسيتني لماذا أذهب حزيناً من مضايقة العدو .. ترجي الله لأني بعد أحمده خلاص وجهي وإلهي" (٤٢: ٩-١١).

في العبرانية: ل م هـ למה هي تعني "لمن". وعيسو يقول ليعقوب: "لمن البكورية" بعد أن باعها (تك ٢٥: ٣٢). والسؤال "لمن أنت تسأل عن اسمي" (تكوين ٣٢: ٢٩ - راجع أرميا ٦: ٢٠ — ٢٠: ١٨ - عاموس ٥: ١٨). والفعل بعد علامة الاستفهام لا يعني الترك كما هو في العربية الشائعة لأنه في العبرانية "ل ز ب"، وهو تركُ إنسانٍ في رعاية آخر، ولذلك "ترك" سيد يوسف كل ما له ليوسف (تكوين ٣٩: ٦). وفي نفس المزمور السابق (١٠: ١١): "الله قد ترك أو نسى. حجب وجهه إلى الأبد" هذا ما يفكر فيه الشرير، ولكن الله لا ينسى ولا يترك. والشرير يظن أن الله يترك الأيتام (أرميا ٤٩: ١١)، ولكن الله يقول: "أنا أُحييهم" (أرميا ٤٩: ١١).

أنت آدم الأخير. وأنت عندما تصرخ أو تعلن شيئاً، فإن في صوتك ثلاث طبقات: الطبقة الأولى هي الابن الواحد مع الآب في الجوهر. والطبقة الثانية هي آدم الثاني الذي يمثل الإنسانية كلها وفي بوتقة الوجع ووادي الدموع يسير. والطبقة الثالثة هي رئيس الكهنة الذي يُقدِّمنا لله الآب.

الآن، أنت آدم الجديد ورئيس الكهنة معاً، تذكر: "لمن تركتني؟" صرتَ عاراً عند البشر (مزمور ٢٢: ٦)، بل والمزمور يقول: "أما أنا فدودة لا إنسان" مصدر الاستهزاء، بل "أحاط بك الأشرار مثل ثيران هائجة" (٢٢: ١٢). في يد هؤلاء، وكآدم: "كالماء انسكبت .. صار قلبي كالشمع ... وإلى تراب الموت تضعني" (٢٢: ١٥). لكن يعود مثل كل المزامير: "لأن الله هو ملك كل الشعوب"، بل "قدامه يجثو كل من ينحدر إلى التراب .." (٢٢: ٢٩). ويرى الرب الكنيسة الآتية: "الذرية تتعبد له يخبر عن الرب الجيل الآتي" (٢٢: ٣٠).

يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون (لوقا ٢٣: ٣٤):

في ترتيلة جميلة لكنيسة اليونان الأرثوذكسية، تقول: "كَتَبَ الربُّ بيده الملوكية صَكَّ إطلاق سراح وغفران الكلِّ وخَتَمَه بدمه".

من الصعب علينا نحن الذين أصابتنا شيخوخة الفكر أن نرى أن الديان العادل، بعدلٍ يطلب الغفران من الآب؛ لأن العدلَ يُحيي، وهو عكس عدل المحاكم.

كم صرخنا بكل ما نملك من قوة بأن العدل = الصدق = الحق، وأنه ليس عدل القوانين الوضعية. لكن عُشَّاقَ الانتقام وعبيد التشفِّي لا يسمعون، وإن سمعوا لا يفهمون.

المساميرُ في يديه وقدميه، والشوكُ يعلو رأسه. والعدلُ الأرضي يطلب الانتقام، أما العدلُ الإلهي فيطلب الغفران. جعلنا من ميزان العدل عندنا، ميزاناً لعدل الله. ومَن حاول إصلاح مسار الفكر؛ قُطِعَ من شركة الكنيسة ظُلماً.

لكن ماذا نقول؟ علينا أن نقول مع المصلوب والحي فينا: "اغفر لهم"؛ لأننا بالغفران ننال نحن الحرية من شَرِّ هؤلاء، ولا نسمح لهم بالبقاء حتى في ذاكرتنا؛ لئلا تلوثُ أعمالُهم الشريرة قلوبنا التي نسعى كل يوم لأن تكون نقيةً أمام الله.

اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك (لوقا ٢٣: ٤٢):

لا يوجد ما هو أبلغ من أمانة اللص التي ترتلها أُمُّ الشهداء يوم الجمعة.

وتأخذ صرخة اللص لحناً جنائزياً. نحن لا نملك إلَّا طلب الرحمة. لكن "اذكرني" ليست مثل اذكرني كما هو شائع عندنا عندما ننسى. "الذكرى" في العهد القديم هي استعلان عمل الله. تذكَّر اللهُ نوح (تكوين ٨: ١)، وهو يذكر العهد (تكوين ٩: ٥)، سمع الله صراخ الشعب (تذكر العهد خروج ٦: ٥)، وتذكُّر الوصية يعني الالتزام بها (يشوع ١: ٣) ويذكر الرب التقدمات (مزمور ٢٠: ٣).

ويقول المزمور عن طلب الرحمة: "اذكر يا رب مراحمك لأنها ثابتة منذ البدء" (مزمور ٢٥: ٦). وعندما يقول المزمور: "سوف أذكر اسمك في كل الأجيال .."، فهو يعني العبادة والتسبيح (مزمور ٤٥: ١٧)، بل وطلب تدخُّل الله في المزمور: "قم يا الله اذكر تعيير الجاهل إيَّاك اليوم كله" (٤: ٢٢). والاعياد هي ذكرى عجائب الرب (مزمور ١١١: ٤)، وهو ما يطلبه أشعياء من الشعب أن يمجد اسم الرب عندما يذكر اسمه (أش ١٢: ٤).

هكذا يطلب اللص العبراني أن يذكره الربُّ عندما يأتي كملكٍ، أي أن يكون له مكان في مُلك يسوع، ولذلك سمع القول الإلهي: "اليوم تكون معي في الفردوس"، حيث أملك على الأحياء، وعلى الذين سوف أُصعِدهم من الهاوية.

سَبَقَ الربُّ اللِّصَّ لكي يُعدَّ له مكاناً في الفردوس. وأمانة اللص كما تُرتَّل في الكنيسة لا يجب أن تُخضَع إلى لاهوت العصر الوسيط الذي يطلب التوبة والاعتراف للصفح. فاللصُّ لم يطلب الغفران، وإنما اعترف بأن صلبه هو العدل، عدل القانون الروماني، وجاء عدل المسيح:

اليوم تكون معي في الفردوس.

أحباء يسوع هم معه رغم الألم

رأى يسوعُ أُمَّه والتلميذَ الذي كان يحبُّه واقفاً (يوحنا ١٩: ٢٥):

لم تُحاصِركَ الآلامُ في كيانك الجسداني؛ لأن الآلام تُحاصر من يخاف من الموت. لا لأن الموت آتٍ، ولكن لأنك خرجت إلى معصرة الألم وأنت تعلم كل ما يحدث لك.

الألم الجسداني صعبٌ علينا؛ لأن الخطيةَ جعلت من الجسد الوجود الحقيقي، ويأتي الألم ويهدد هذا الوجود. لكنك يا يسوع تعاليتَ على الألمِ؛ لأن حياتَكَ هي مِلكٌ لك (يوحنا ١٠: ١٨)، هي تحت سلطانك، ولذلك، من الصليب ترى الأُم التي ولدتك. قبولٌ تام لتجسدك حتى وأنت في بؤرة الوجع.

قال لأُمه يا امرأة هوذا ابنك (يوحنا ١٩: ٢٦):

خاطب الأُمَّ قبل أن يخاطِب يوحنا. رغم المحبة الوثيقة التي بينه وبين يوحنا، إلَّا أن الأُمَّ لها مكانةٌ خاصة. تلك التي رَضَعَ منها اللبن -وكما يقول القديس كيرلس: وأنت يا يسوع تعطي الطعام لكل الخليقة. وتلك التي جلس على ركبتيها، وهو في نفس الزمان، بل والمكان، جالسٌ على العرش الإلهي الذي نخطئ إذا تصوَّرنا أنه كرسيٌّ له قوائم أربعة، بل هو القوة الإلهية التي تدير العالم؛ "لأنه لم يكن محصوراً في الجسد -كما يتوهم البعض- أو أنه بسبب في الجسد كان كل مكان آخر خالياً منه، أو أنه بينما كان يحرك الجسد كان العالم محروماً من أفعال قدراته وعنايته" (تجسد الكلمة ١٧: ١).

- على ركبتي البتول جلستَ.

- حملتكَ الأمُ العذراء

- أنت حاملُ كلَّ الأشياء بكلمة قدرتك (عب ١: ٣)،

- لكنكَ تُحملُ كطفلٍ؛ لأنك أحببت الإنسانية

- دعوتَ الأطفالَ إليك وباركتهم، فقد عرفت الطفولة.

يا سيدُ، تلك العلاقة الوثيقة مع أمك، لن يفهمها أيُّ رجلٍ؛ لأن الرجال لا يقدِّمون الحياة من كيانهم، بل يضعون البذرةَ في المرأةِ، ويتركون الحَبَلَ والولادة والرعاية للأم. مَن يفهم هذا إلَّا امرأةً صارت أُمَّاً؟

قال للتلميذ هوذا أُمَّكَ (يوحنا ١٩: ٢٦):

عندما قيل لك هوذا أمك واخوتك يطلبونك (ليمنعوك عن التعليم)، قلتَ في حزمٍ: "مَن أمي واخوتي ... لأن مَن يصنع مشيئة الآب هو أخي وأختي وأمي" (مرقس ٣: ٣٤). مَن يصنع مشيئة الآب. ولكنك لم تجعل مِن أيِّ صانعٍ لمشيئة الآب، أباً لك، بل كلُّ إنسانٍ هو أخ وأخت وأُم لك ... هذه المشيئة هي قبول مشيئة الآب، أي تجسدك: "هانذا مكتوب عن أني أجيء لكي أفعل مشيئتك يا الله" (عب ١٠: ٧). وعندما جئت لكي تفعل مشيئة الله، نزعتَ العهد الأول لكي يثبُت العهد الجديد، أو الثاني حيث للآب والابن والروح القدس مشيئةٌ واحدة.

تَبِعَكَ يوحنا الحبيب من المحكمة إلى الجلجثة، كان يتكئُ على صدرِكَ. تلك هي العلاقة الحميمة. محبةٌ هي التي توحِّد الإرادةَ أو المشيئة.

صارت العذراء أُمًّا ليوحنا، وصارت أُمَّاً لكل مَن يفعل إرادة الرب. هي أُم النور

وأُم الكنيسة. ومَن يمجّد التجسُّد سوف يجد أنه يمجّد الأُمَّ البتول.

يا أبتاه في يديك أستودع روحي (لوقا ٢٣: ٤٦):

هذه الروح الإنسانية عطيةُ الروح القدس لك. وُضِعَت في جسدك عندما قدَّمَ الروحُ بمسرة الآب، جسدكَ.

تُقدِّمُها أنت وديعةً للآب؛ لكي تصبح كلُّ روحٍ وديعةً.

بسطتَ يديك للمسامير، ووحَّدتَ إرادتك منذ أن تجسَّدتَ، بالآب.

الآن شربِتَ الكأسَ، وصارت صلاةُ البستان مسموعةً.

فقد كان الاستعلان لنا؛ لأنك تصلي للآب، ولكي نسمعك.

نحن شركاءُ حياتك في تجسُّدِكَ، وشركاءُ موتك في صلبِكَ.

إن لم نشترك، نصبح مثل متفرِّجٍ، أي مثل اليهود والرومان الذين كانوا واقفين حولك يراقبونك.

يا يسوع، ما أكثر المراقبين الباحثين عن الأخطاء، هم وحدهم جلوسٌ على عرش المعرفة والعدل قوائم عرشهم يحكمون قبل أن يسألون.

أبطلتَ الحكمَ، فكل الأحكام لا تقاس بالموت: "مات لأجل الجميع لكي لا نعيش فيما بعد لأنفسنا بل للذي مات لأجلنا وقام ربنا يسوع المسيح (٢كو ٥: ١٤-١٥ تجسد الكلمة ١٠: ٢). ولكن الذين لا يعرفون كيف توحِّدنا المحبة، قالوا إننا لم نُصلب معكَ. ولكن معلِّم الانجيل يقول:

- إننا اعتمدنا لموتك

- متَّحدين معه بشبه موته (رو ٦: ٢-٥).

وقد سلَّم لنا أثناسيوس العظيم أن موتك هو "موت الجميع قد تم في جسد الرب" (تجسد الكلمة ٢٠: ٥).

وسلَّم إلينا أنك قدَّمت ذاتك للآب عندما بذلتَ جسدكَ للموت من أجل محبتك للبشر أولاً: لكي إذا كان الجميع قد ماتوا فيه (في المسيح)، فإنه يُبطل عن البشر الموت وشريعة الفناء لأن سلطان الموت قد أهلك في جسد الرب فلا يعود للموت سلطان على أجساد البشر" (تجسد الكلمة ٨: ٤).

مات بإرادته وحده وسلطانه:

نحن نموت؛ لأن الحياةَ هبةٌ، ولا سلطانَ لنا على هبة الحياة.

يذكِّرُنا العظيم أثناسيوس بحقيقة هامة في التدبير:

"المسيحُ هو واهب الحياة للآخرين لا يمكن أن يسود عليه الموت، ولو كان إنساناً مثلنا -كما تعتقدون (أيها الأريوسيون)، بل هو بالحقيقة ابن الله؛ لأن جميع الناس خاضعون للموت" (ضد الأريوسيين ٢: ١٦).

بإرادته وسلطانه وحده جاء؛ "لأن المخلِّصَ لم يأتِ لأجل ذاته، بل لأجل خلاصنا، ولكي يبطل الموت ويدين الخطية" (ضد الأريوسيين: ٥٥).

ويؤكد قوة وسلطان الرب في أكثر من موضع في المقالة الثانية، ولكن هذه العبارات تكفي:

- كان الجميعُ خاضعين للموت

- كان هو مختلفاً عن الجميع

– فقد قدَّم جسده الخاص للموت من أجل الجميع

– وحيث أن الجميع ماتوا بواسطته (فيه)، هكذا قد تم حكم الموت (٢: ٦٩).

– "لأنه بذبيحة جسده الذاتي، وضع نهايةً لشريعةٍ تحكمُ بالموت، كانت ضدنا. وبسبب تأنس كلمة الله، فقد تمت إبادة الموت، كما تمت قيامة الحياة .. نحن لا نموت الآن لأننا لسنا تحت حكم الموت (أو لا نموت بعد كمدانين)، بل كأُناسٍ يقومون من الموت، ننتظر القيامة العامة للجميع ... التي وهبنا إياها الله" (تجسد الكلمة ١٠: ٥).

سلطان الرب ليس فقط لأنه إلهٌ متجسد، بل لأنه ربُّ الحياة:

أُبيد الموتُ على الصليب؛ لأن جسد الرب القابل للموت (تجسد الكلمة ١٣: ٩ — ٢١: ٥) لأن المخلص لم يأت لكي يتمم موته هو، بل موت البشر (تجسد الكلمة ٢١: ٣). ولذلك "مات الموت" (تجسد الكلمة ٢٧: ١). لقد مات، ولكنه قام؛ لأن الرب بقوته وهو الحياة، "نال الجسد منه قوة" (تجسد الكلمة ٢١: ٥). لقد صار ذلك الجسد القابل للموت هو "جسد ذاك الذي هو الحياة عينها" (تجسد الكلمة ٢١: ٧). ولذلك نقول في القداسات الأرثوذكسية كلها إنه "الجسد المحيي"، فهو ليس حياً فقط، بل "محيياً" أيضاً.

بموتك المحيي وبانفصال روحك الإنسانية عن جسدك، هدمتَ الانفصال. يجب أن نكون على حَذَرٍ يا أحبائي مِن فرض الأفكار الفلسفية القديمة على التدبير، فالنفس الإنسانية هي الروح الإنسانية. لا يعرف الكتاب المقدس ثلاثية أرسطو وأفلاطون وكبار فلاسفة اليونان القديمة.

يقول الرب في البستان: "نفسي حزينة جداً حتى الموت" (متى ٢٦: ٣٨).

يقول الرب في إنجيل لوقا: "في يديك أستودع روحي" (لوقا ٢٣: ٤٦).

والثلاثية التي نذكرها في صلوات القسمة: "أنفسنا وأجسادنا وأرواحنا"، ذكرها الرسول بولس العبراني المولد واليهودي سابقاً: "إله السلام نفسه يقدِّسُكُم بالتمام ولتُحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح" (أفسس ٥: ٣٣)، وهي التفسير المسيحي للوصية: "حب الرب إلهك مِن كل قلبك ومِن كل نفسك ومِن كل قدرتك" (تثنية ٦: ٤-٥)، وصارت الحقيقة الواضحة هي أن:

- القلب هو الروح
- النفس هي المشاعر
- القدرة أو الإرادة هي التي تُستعلن في الجسد.

ولذلك صيغت الوصية حسب إنجيل مرقس: "حب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك وبكل فكرك وبكل قدرتك" (مرقس ١٢: ٢٨-٣١).

الشرح ضروري من أجل شمولية المحبة، فلا تقف المحبة عند العواطف، بل تصبح في القلب أو الروح وفي النفس حيث المشاعر ومن الإرادة، لذلك نصلي في القداسات من أجل أن يتقدس الكيان الإنساني كله.

أنا عطشان – قد أُكمل:

يقول الشاهد الأمين يوحنا الانجيلي: "بعد هذا رأى يسوع أن كلَّ شيءٍ قد كَمُل" (١٩: ٢٨)، سُلِّمَ إلى الموت، وترك أمه في رعاية يوحنا، واقتسم الجندُ ثيابَه. تماماً كما جاءت كل هذه التفاصيل في المزامير، قال: "أنا عطشان"؛ لكي تتم كلمات المزمور (٦٩: ٢١).

"أكمل التدبير بالجسد" حسب صلواتنا الأرثوذكسية

قال واحد من الإكليروس إن "قد أكمل" تعني أنه دفع الثمن كاملاً. وعندما نَشَرَ ذلك التفسير الغريب حلَّت ظلمةٌ حول المحبة، فلم يكن هناك ثمنٌ يُدفع للآب؛ لأن هذه ليست تجارةً، ولا هي جلسةَ حكمٍ للعدل والرحمة، بل كان فيضُ الصلاح الإلهي الذي سُلِّم إلينا في كتابات الآباء. وعندما نختم صلواتنا بعبارة: "يسوع المسيح الذي تألم بإرادته"، فان الآلام الطوعية ترفض تماماً كل تفسير تجاري لموت الرب:

أولاً: لأن تسبحة البصخة "لك القوة والمجد والبركة والعزة إلى الأبد. آمين".

وبعد ذلك:

"قوتي وتسبحتي هو الرب وقد صار لي خلاصاً مقدساً".

نحن في أقداس الثالوث نمجّد القوي الذي غلب بالضعف، وبالمجد الذي لا يضمحل، أزال هوان الجنس البشري.

والبركة؛ لأنه صار الكرمةَ التي أثمرت وأعطت أغصاناً جديدةً.

والعزة؛ لأنه هو على الصليب هو نفسه "في حضن الآب كل حين" (قسمة عيد الميلاد). لكن الذين يجدون في الانتقام لذةً، وفي السطو على حرية الآخرين سعادةً، هؤلاء لا يقبلون أن يكون التعليم عن الخلاص هو تعليمٌ عن مجانية الخلاص، بل يجب أن يكون مدفوع الثمن —كما قال واحدٌ آخر من الإكليروس أيضاً.

ثانياً: دفعُ الثمن هو تدميرٌ للمحبة الإلهية التي لا تُحاسِب، وهو دستورٌ رسولي (١كو ١٣: ١-٨).

عندما أهملنا الكلام عن المحبة، هدمنا صرح الحياة الأرثوذكسية.

لقد حلَّت الظلمة من الساعة السادسة، وانشق حجاب الهيكل الذي كان يفصل قُدس الأقداس عن القُدس، وهو أي قدس الأقداس الذي يدخله رئيس الكهنة مرةً واحدةً في يوم الكفارة، ولأن الرب يسوع قد ذُبح وهو حمل الفصح الحقيقي. ويوم الصلبوت كان في أسبوع الفصح اليهودي. لذلك دخل المسيحُ إلى الأقداس غير المصنوعة بيد وانشق حجاب الهيكل الذي كان من المفروض أن يبقى في مكانه؛ لأن الكاهن الحقيقي دخل إلى السماء، حيث "في يديك استودع روحي"، ودخل قدس الأقداس (عب ٩: ٢٣-٢٤).

يقولون لنا دائماً: لماذا يوضع حجابٌ على الهيكل، والحجابُ قد انشق؟ سؤالٌ غير بريء؛ لأن الاسم القديم ليس "حجاب"، بل حامل الأيقونات، ولكن لأن لنا تاريخَ عذابٍ وآلام وهجومٍ متواصلٍ على الكنائس في كل عصور الذين حكموا مصر من الأمويين إلى العباسيين والمماليك وكان عصر العثمانيين هو أسوأ الكل على كل مصر وليس على الأقباط فقط ... كان الترتيبُ هو حفظ الشهادة لوضع الأيقونات أمام المتناولين لكي ندرك أن طريق الشهادة هو طريقنا، والستارة كانت في العصر الوسيط هي لحفظ السر، والتحفظ على الأسرار والخدمة في لحظات الهجوم على الكنائس.

لقد شاهدتُ بنفسي بعض السراديب الممتدة من هيكل الكنيسة إلى مكان آمن يعلو الهيكل ... إن بقاء رسوم التاريخ القديم، هو ذكرى وشهادة؛ لأن "الطريق الضيق" له امتدادٌ في كل العصور.

المسيحُ حيٌّ معنا وفينا

المسيحُ حيٌّ معنا

من السهل علينا أن نقول إن المسيحَ حيٌّ في وسطنا ومعنا حسب الوعد "ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر آمين" (متى ٢٨: ٢٠)، ذلك إيمانٌ عام شائعٌ عند كل المؤمنين. لكن "معنا" حسب أسفار العهد الجديد، ليست فكرةً أو إشارةً لفظيةً إلى قدرة الرب الإلهية. حسب التسليم الكنسي، "عمانوئيل" هي "معنا الله"، أي المتجسِّد. ولذلك، للقديس أثناسيوس تعبيرٌ مشهور ورد في أكثر من موضع هو تعبير "الحضور المتجسد"، أو "حضوره متجسداً"، فلا فرق (راجع تجسد الكلمة ١٨ - ضد الأريوسيين ١: ٢٣ – ٢: ٥٥ – ٢: ٦٦). فهو قام حيَّاً من الأموات، وأحيا الجسد لكي يكون معنا إلهياً وإنسانياً في شخصه الواحد غير المنقسم إلى اثنين.

قيامة المسيح جعلته رأسَ الجسد، أي الكنيسة:

بداية الكنيسة هي في مسقط رأس الإنسانية المفتداة في بيت لحم[١]. ففي بيت لحم تمَّ اتحادُ اللاهوت بالبشرية في الشخص الواحد لكي يفتح لنا نحن باب الاتحاد. هو في "حضن أبيه كل حين" حسب قسمة عيد الميلاد، وكان من الضروري أن يفتح لنا نفس الحضن الأبوي لكي نستقر نحن فيه **معه وبه**.

---

(١) عبارة مأثورة للقمص متى المسكين.

كانت البشريةُ غريبةً عن الله، **أولاً**: لأنها مخلوقة من العدم. **وثانياً**: لأنها اختارت طريق الموت، وهو ذاته طريق الخطية.

وإذا كان طريقُ الموت عائقاً أمام "معيِّة" الله، فالخلقُ من العدم أيضاً عائقٌ لها؛ لأنه لا يؤهِّل للخلود، ولا يمنح للإنسان حياةً أبديةً. هذا الاغتراب، كان يمكن التغلُّبُ عليه؛ لو ظلَّ الإنسانُ صورة الله (تكوين ١: ٢٦-٢٧ – تجسد الكلمة ٤: ٦). ولكن الإنسانَ اختار طريقاً آخر، وهو أن يكون صورةً لذاته التي لا تملك الوجود الذاتي فسقط في الموت.

جاء ابن الله ونقض العائقين معاً..

+ فقد وحَّد المائتَ بغير المائتِ، أي البشريةَ بالأُلوهةِ.

+ وأباد الموتَ بقبوله الموتِ، وأباد العدمَ بعطية الحياة الأبدية، ونقل أصل الجنس البشري من آدم الذي جلب الموت، إلى كيانه الذي فيه الحياة الأبدية (١كو ١٥: ٤٥ – ٤٧، الرسالة إلى أدلفوس: ٩، ضد الأريوسيين ٣: ٣٣).

ذلك التحوُّل، كان ضرورياً لبقاء الجنس البشري حيَّاً إلى الأبد، ولكي لا يفنى بالموت؛ "لأن الجنس البشري كان سيهلك بالتمام لو لم يكن ربُّ الكلِّ ومخلِّصُ الجميع ابن الله قد جاء ليضع حداً للموت" (تجسد الكلمة ٩: ٤).

لكن جاء الصلبُ ورفَعَ عائقَ الموت والدينونة، وفتح بابَ الشركة. فكيف ينقلُ إلينا المسيحُ ربُّ الحياةِ هذا التحول النهائي؟ التعليم السائد منذ عصر الإصلاح، والذي تفشَّى في مصر هو أن الإيمان بما حدث، لا سيما الصلب، كافٍ جداً، ولكن هذا التعليم مزيَّفٌ بكل ما تعنيه كلمة مزيَّف، للآتي:

أولاً: لأن التجسُّد لم يكن تعليماً فقط، بل حقيقة تأنس ابن الله.

ثانياً: التحوُّل هو تحول كياني تمَّ في آدم الأخير، فقد أخذَ الكلمةُ ابن الله "جسداً قابلاً للموت حتى يمكن أن يُبيد الموتَ فيه، ويجدِّدُ خلقة البشر الذين خُلِقوا على صورته" (تجسد الكلمة ١٣: ٩)، والمقصود هنا هو إبادة الموت من البشرية أو "من داخلنا نحن" (تجسد الكلمة ١٦: ٥).

الاتحاد بالرب يسوع هو اتحادٌ إلهيٌّ سِرِّيٌّ:

أُلوهية هذا الاتحاد عائدةٌ إلى القوة الإلهية التي أبادت الموت، وإلى شخص المخلِّصِ نفسه الإله المتجسد الذي حوَّل كيانه هو بقبوله الموت في جسده. حقاً نحن نأتي إلى هذا بالإيمان، ولكن الإيمان هو قبول نعمة التحوُّل. هو قبول الحياة الغالبة الموت؛ لذلك تُوِّجَ المسيحُ ملكاً على الجسد، وصار "رأسَ الجسد"؛ لكي من الرأس، تنمو كل الأعضاء، كما ذكر معلم الإنجيل (كولوسي ١: ١٨).

ما حدث للربِّ هو ما يُسلَّمُ لنا باسم "التدبير" من الولادةِ إلى الصعود. هو مراحل تكوين الإنسانية الجديدة، أي إنسانية يسوع. والأمر لا علاقة له بعلم الحركة، فالذين يطبقون ما تعلموه من قوانين ميكانيكا الحركة على تدبير الخلاص، يقعون في أخطاءٍ جسيمة، يظنون بناءً عليها أنه يمكنهم اتهام غيرهم بالهرطقة!!

هذا الاتحاد يسمحُ للجسد بأن ينمو حسب القانون الطبيعي، وحسب نموه الطبيعي، ولذلك هو ينمو مُتَّحداً؛ لأن النمو من خصائص البشرية، وهبةُ الاتحاد هي هبةُ المحبة الإلهية. محبةُ البشر هي محبةُ الطبيعة البشرية، وهي بدورها محبةُ الاشخاص أيضاً؛ لأن محبة الطبيعة بدون محبة الشخص، هي محبة مجردة عقلية ترفض الكيان الإنساني – اللحم والدم، وفي القيامة تحوِّل ذلك اللحم إلى عدم الفساد، وهو ما ندركه سرائرياً في الإفخارستيا عندما نأخذ الجسد الذي لا ينقسم ولا يفسد. وكل الذين حاولوا تحليل السر كيميائياً سقطوا في خطأين:

الأول: أنهم لم يدركوا أن أدوات التحليل هي أدوات مادية فقط، بل والمنهج

نفسه أيضاً، فقد سمعنا أن أسقفاً إنجليزياً قدَّسَ كمَّاً من الخمر، ثم أخذه إلى المعمل بحثاً عن كرات الدم، فلم يجد. وبالطبع هي لن تكون؛ لأن هذا الدم ليس دماً بشرياً فاسداً مكوَّناً من عناصر مائتة نراها تحت الميكروسكوب، بل هو هبة الحياة غير الفاسدة المستعلَنة بالروح القدس. هذا ليس هرباً من الإجابة، وإنما هو الواقع الحي: حياةٌ إلهيةٌ لا تسمح بعودة ما هو إلهي إلى ما هو بشري بعد القيامة. ولذلك، الأخوة الذين يظنون أن التناول يجعل بعضَ أجزاءٍ من جسد المسيح يظل بين أسنانهم، عليهم أن يعلموا أنهم قد أعادوا المسيح إلى الموت، فصار يتجزَّأُ إلى أجزاءٍ، وصار قابلاً للفساد بالانقسام. هؤلاء لم يُدركوا حقيقة القيامة بعد.

والثاني: لم يدرك هؤلاء أيضاً أن المجال الإلهي لا يتفوق فقط ويعلو على المجال المادي بسبب المصدر والقوة المانحة، بل لأن للمجال الإلهي هدفاً أبدياً، وهو إعادة الإنسان إلى حياة عدم الموت، أي الحياة الخالدة الأبدية التي تُعطى لنا في زمان التجديد (متى ١٩: ٢٨)، أي زمان وجودنا على الأرض. هذا المجال الإلهي هو عمل الكلمة المتجسد، وقد فُتِحَ لنا بالقيامة. فالمسيح يدعونا إلى أعماق الله، أعماق المحبة الثالوثية، وإلى السكنى في الثالوث، وبه، أي بيسوع الحي؛ ندخل إلى هذه الحياة الجديدة جداً (رو ٦: ٣)، والتي لا مقاييس أرضيةً لها، بل لا توجد لها مقاييس بالمرة. هذا ليس هروباً من السؤال أو التخفِّي وراء ما هو إلهي، بل هو حقيقة استعلان ما هو سمائي وحي وأبدي في زماننا الذي يعاني من الموت، ويعرف البداية والنهاية، بل البدايات والنهايات كلها. هو زمانٌ عتيقٌ انكسر بالموت، ودخلت فيه الأبدية مستعلَنةً في المتجسِّد ربنا يسوع، وجاء يسوعُ وجلسَ على عرش الألوهةِ بالصعود، حاملاً معه إنسانيةً حيَّةً خالدةً مجيدةً متَّحدةً به؛ فصارت المسافات هي إبراز الاختلافات، والتمايُز لا الفصل بين الكائنات، وصارت السماءُ تُعايَن في الخدمة الإلهية بتسبيح الشاروبيم والقوات العلوية. وعندما نسير في موكب الحياة في الخمسين المقدسة حاملين الصلبان وأيقونة القيامة، فنحن بكل تأكيد نقول إننا دخلنا الميراثَ السماوي بالصليب والقيامة، وإننا في موكب نصرة الحياة[١]

(١) للأسف، يُوصف هذا الموكب شعبياً، بأحط وصف: "زفة القيامة".

مرتِّلين مع "كل صفوف السمائيين"، فقد جاء الذي وحَّدنا بالحياة غير المائتة.

في الحياة الجديدة ندرك ثلاثة أبعاد أساسية، وهي:

أولاً: أنها ليست مِنَّا، ولذلك عندما نبحث عنها فينا، قد لا نجدها؛ لأن مصدرها المسيح والروح القدس.

ثانياً: أنها تُدرَكُ بالمعايشة، وبرفض تطبيق آليات الحياة الاجتماعية واليومية ومثالياتها على الحياة الجديدة. مثل استخدام كلمة "الاستحقاق" بمعناها السياسي، وهو أن تكون قد أديت خدمة شاقة مشرِّفة، في مجال الحياة الجديدة، بينما الملكوت ليس استحقاقاً بهذا المعنى، بل هو للمساكين، والغفران هو للخطاة، والمحبة هي للبشر المنكسرين.

ثالثاً: ما ليس مِنَّا، وما لا يؤخذ حسب معايير ومقاييس الحياة الاجتماعية والسياسية والقانونية، يجب أن يعود إلى مصدر واحد فقط، هو الحي يسوع رب الحياة.

ومعيار الحياة القائمة، ليس أنه بلا موت[١] بل أنه كما نقول في الأوشية: "أيها الطبيب الحقيقي الذي لأنفسنا وأجسادنا يا مدبِّر كلَّ جسدٍ تعهَّدنا بخلاصك".

+ نحن مدعوون إلى اكتشاف القيامة، وإلى اكتشاف حركة الحياة التي جاء بها المسيح الحي، ونقلُهُ لِما في كيانه إلى كياننا الميت.

+ نحن مدعوون إلى الولادة من فوق، ومشكلة معمودية الأطفال التي تتم بدون إعداد يجب أن تُحل على وجه السرعة؛ لكي يدرك الأطفال أنهم جاءوا إلى الحياة الجديدة، ليس من الأب والأم، بل من الله.

---

(١) أي سلبي، بل إيجابي.

+ نحـن مـدعوون إلى ذات الاتحـاد الـذي أكملـه الـرب يسـوع في جسـده، أي اتحـاده بالبشـرية، فقـد وحَّـد أُلوهيتـه بالبشـرية لأجلنـا. وعنـدما يشـرد الفكـر بعيـداً، يظـل الكيان الذي وُلِدَ من جديد، هو كيان من نال التبني.

+ نحن مدعوون إلى البحث عن الآثار السلبية التي تركها الموت فينا، وكيف أن الخوفَ على الجسد هو علامةٌ خطيرةٌ تجاوزها شهداء سمالوط، فانقذوا الشجاعة التي نامت تحت ركام الكسل والتراخي.

+ نحن أغصان الكرمة الحقيقية، ومهما حَرَّكَ الريحُ الغصنَ، فإنه يظل ثابتاً في الأصل. إن أفكارنا ومشاعرنا ليست هي مصدر الاتحاد، بل يسوع هو المصدر. ولعل أفدح الأخطاء هو التعبير عن ذلك من خلال العلاقة العاطفية التي تخضع لعواصف العواطف، وهو ما يجعلني حذِرٌ جداً من تراتيل تقال في الاجتماعات لتحريك العواطف الراكدة. لكن اتحادنا بالمسيح هو اتحادٌ إراديٌّ، سواء وُجدت العواطف والمشاعر أو لم توجد؛ لأن يسوع هو "صخر الدهور"، ليس مِن صُنعِ أو فعلِ الإنسان، بل هو هبةُ الآبِ لنا، وهو هبة محبة.

المسيحُ حيٌّ فينا:

إذا كنت أظنُّ أن التوبةَ عن الخطايا هي التي جعلتني مسيحياً، فأنا قد وقعت في عدة أخطاء جسيمة. الذي جعلني مسيحياً هو الولادة من فوق، وهي ليست التوبة، بل تجديد الكيان؛ لأن الذين وُلدوا ليس من دم ولحم، هم بالتالي، ليسوا الذين قرروا بالإرادة أن يتوبوا. والذين ولِدوا ليس من مشيئة رجل، أي نتيجة الزواج، لم يُولدوا ولادةً بيولوجية، بل ولادة من الله، أسَّسها ربنا يسوع المسيح ليكون هو "بكراً بين أخوة كثيرين" (رو ٨: ٢٩). وعليك عزيزي القارئ ألَّا تعبأ بما يلقيه الشيطان نفسه من كلام عن الجوهر والأقنوم والنعمة .... الخ تلك ألاعيب لفظيةٍ لها قصدٌ واحدٌ، هو تشتيت خبر الإنجيل السار، ونقل العطية من الثالوث إلى الصراعات اللفظية الجوفاء، لكي يصبح كل

ما لدينا هو إنساني فقط، أي اللغة والمصطلحات والمفردات والمبادئ الفلسفية، بينما يضيع الاتحاد، أي اتحاد المحبة الأبدي.

+ المسيحُ فينا؛ لأننا بدون وجوده فينا، لسنا أبناء، فلا شيء يجعلنا أبناء الله إلَّا حلول المسيح فينا.

+ المسيحُ فينا؛ لأنه حسب صلواتنا: "هو قيامتنا كلنا وحياتنا كلنا".

+ هو فينا إلهياً؛ لأنه الإله، وهو فينا إنسانياً؛ لأنه ينقل من بشريته الحيَّة بالاتحاد بلاهوته إلينا الخلودَ وعدم الموت، وقبل هذا وذاك، المحبة.

+ هو ينقل إلينا المسحةَ التي أخذها من الآب، أي الروح القدس. ويجعل هذه المسحة فينا لكي نتعلم من الروح القدس كيف نحيا، وكيف نعيش، وكيف يثبِّتُنا الروح في الابن المتجسد (٢كو ١: ٢١).

هذا هو زخم القيامة.

جلسَ الربُّ على عرش اللاهوت حيَّاً بعد قيامته وصعوده، وكان يتردد على الأرض لكي يسلِّم التعليم للرسل طوال ٤٠ يوماً، ولا زال يفعل ذلك مع كلِّ إنسانٍ، فهو:

- الراعي الصالح الذي يبحث عن الخروف الضال.

- نورُ العالم الذي يُنير كلَّ مَن غلبته ظلمةُ الشك.

- خبزُ الحياةِ الواهبُ الحياةَ للعالم.

هذا قليلٌ من كثيرٍ نتركه للقارئ، ولكن الأساس الذهبي هو أن كل ما في حياة الرب قد وُهِبَ لنا بالقيامة؛ إذ صار المسيحُ الحيُّ يسكن فينا لنُولَد

ونحيا ونتحرك به وفيه.

+ أنت فينا ومعنا، ولا فرقَ بين الاثنين.

+ أنت معنا مَلِكٌ، وفينا حياة.

+ أنت معنا إلهٌ على الكلِّ، وفينا لأننا جسدُكَ.

+ أنت معنا الوسيط، وفينا لأننا أعضاءُ جسدِكَ.

المجدُ لكَ؛ لأنك أحييتنا.

كل عام وأنتم بخير

د. جورج حبيب بباوي

ابريل ٢٠١٥